

## الأثر المتبادل بين التطور الفني والتطور الاجتماعي في الشعر اللبناني الحديث

### ١ - الشعر بين تطوره الفني والتطور الاجتماعي

لست اذكر من الذي اكد ، بروعة البساطة ، ان القصيدة انما هي معطى اجتماعي ، وان المتلقي انما هو انسان على قسط ما من الوعي ، غير اني اخرج من هذا للاشارة الى العلامة الجدلية القائمة بين الشاعر وبين المتلقي ، والتي تؤكد بنورها ان الشعر ، هو بالضرورة ، معطى اجتماعي .

وعندما ننتقل من هذه القاعدة في البحث ، فمعنى ذلك ان الشاعر في يقيننا هو الكائن الذي يعي الزمن وعيا حادا وعميقا في وقت معا . فالعلاقات المعقدة التي تقوم بين الزمن الذي يمكن قياسه ، وبين الزمن المعاش ، انما تحمل الشاعر على جعلها محسوسة ، او قريبة من الوعي العام . بهذا استطاع الشعر ان يقترب ، فيستبطن اهم القضايا التي يفرضها الزمن على الناس ، وان يلتزم ، بالتالي ، بتقديم صور حاملة بذاتها مفاهيم اساسية في جوهر الفن وفي طبيعته ، من مثل ، الشعر والخلود ، الشعر والموت ، الشعر والوجود ، الشعر والقدر ، الشعر والحب ، الى ما هنالك من موضوعات تستأثر بدرجات الوعي الانساني ، وتندرج في سياق بحثه عن مفاتيح لابوابها التي لما تفتح .

اذن الشعر بطبيعة الحال ، هو ذو اثر فني متطور ، ومرتبطة بمراحل تطور اجتماعي معين ، والشاعر الذي حمل ويحمل هم الفن الاثقل والاسمي ، هو قبل كل شيء ، كائن اجتماعي ، وكائن تاريخي بالضرورة . وكل محاولة ترمي الى تقليص حيثيته هذه وقصرها على وعي فني ملازم ذات الشاعر ، ووحى ياتي من خارج وهمي ، تشكل نوعا من الرغبة في سجن الشعر والشاعر ضمن شرنقة حريرية بالفة الاتقان النسجي ، الا انها آيلة في النهاية الى نهايتهما معا ، ولسنا نعرف ، فيما نعرف ، نموذجا واحدا لشعر شاعر عزف عن تحمل ذلك الهم المشار اليه ، وثبت لعنصري النقد الكبير والتاريخ . ولا ندحة لنا هنا عن القول بان العلاقات التي تقوم بين الانسان وبين الواقع ، تتبدل باستمرار ، وفق الشروط الاجتماعية العامة القائمة بينهما ، بحيث يتحتم علينا التأكيد بان الخلق الشعري انما يتعلق ، الى حد كبير ، بالوضع الاجتماعي والتاريخي لدى الشاعر الذي يتكون نفسيا واجتماعيا ، في بيئة تمارس عليه نوعا من التأثير ، يقل او يزيد ، او يتبلور وفق محصل ثقافي معين ، وارتباط بعلاقات اجتماعية طبقية معينة ايضا . فاذا ما حاول الشاعر ان يعبر عن ظاهرة اجتماعية ما ، او عن لاعة ذاتية محض ، او انه رغب في

القيام بكشف فني في الوجود ، وفي ذاته ، بغية ممارسة تأثير ما على الواقع ، وعلى الاشياء ، وجد نفسه مضطرا الى اتخاذ موقف حاد ، وعلى فسط كبير من الوعي بالواقع الاجتماعي والتاريخي الذي يعيشه . على ان مسيرة الشعر ، الاجتماعية والفنية ، بمقدورها ان تتوازي ، ان لم يكن عليها ان تصبح كذلك ، لكي نستطيع ان نتحقق التعامل مع الواقع من اجل تبديله . فتصبح عملية الابداع الفني في الشعر ، عندئذ ، تمثلا واعيا للواقع الذي تؤثر فيه ، وتنعكس عنه ، عبر علاقة جدلية يتطور الاثنان وفق شروطها العامة . ذلك لان الشعر ، وكل فن غيره ، هو تحول خلاق من الواقع الاجتماعي الى الواقع الفني ، وهو في الوقت نفسه ، وجدلية موضوعية ، شحنة طاقة ، بخصوصيات متنوعة ، لتحويل الواقع الفني الى قوة مادية فاعلة ، الى طاقة تغيير وتحويل في الواقع الاجتماعي والطبيعي ذاته ، الى رافد فني في مجرى النهر الكبير ، نهر الحياة والانسان ، يزيد ثراء وخصبا ووفرة على التطور « (١) » .

ولقد عبر برتولد برشت عن هذه الحقيقة الاساسية بشكلى جد واضح، عندما اكد على انتمائه وموقفه من الواقع الاجتماعي والواقع الفني على السواء ، بقوله :  
« تخليت عن طبقتي  
واتخذت اصحابا لي  
الناس المتواضعي المنشأ » .

ويخيل لنا ان مثل هذا الموقف، يشكل بحد ذاته ، معادلا فنيا لوضع صاحبه ، كما يشكل ، بالتالي ، انتقاما من الواقع صارخا يهدف الى تحويله ، بمقدار ما يشكل ايضا اغناء للشعر عن طرسق تمثله حركة الرفع المتباينة الايقاع والصيغ .

وبما ان الشاعر كائن يعيش على احساسه بالواقع الذي يحيط به ، فهو متصل شعوريا بالحدث والوضع ، بحيث يجد فيه التاريخ صدى رنانا ، سواء اكان ثوريا في موقفه من الحدث، او الظاهرة ، او مجرد مصور لوجهها وعواملهما . وانما يكون الشعر في درجته العليا ، عندما يكون الشاعر في الموقف الذي ينطلق منه لمواجهة الواقع بغية تحويله تحويلا ثوريا وفق قاعدة فلسفية مبراة من اوزهم، ومرتبطة بالعوامل الاساسية المحولة للتاريخ وللواقع على السواء . ولكي يكون ما اسميناه ب « الانتقام من الواقع » لدى الشاعر ،

(١) د . حسين مروة - الطريق - ت ١ - ٢ - ١٩٧٤

على المستوى المتوخى ، ينبغي لهذا الشاعر ان يتدرج بعوامل لا بد منها ، وهو في غمرة عمله الابداعي العظيم ، من مثل القدرة على التخيل ، والحدس الذي لا يعدل ان يكون محصل نفاضة عميقة وشمولية ، كما ينبغي له ان يستخدم لغة طيبة لمخاطبة اللحظات الهامة في حياة الانسان .

ويخطئه كثيرا الذين يظنون بان الشعر العظيم يستطيع ان يبرز للوجود بأي تخيل ، واي حدس ، واية لغة كان . فاذا لم يكن التخيل ضمن نطاق الوجود ، وكان الحدس الهاما ، او ما يضارعه من سميات ضبابية ، وكانت اللفظة حاملة من السقم ما ينبغي عنها القدرة على صياغة الصورة المعبرة والموحية بفكرة رؤياويه . فان الشعر في هذه الحال يجيء في احسن معطاة ، متعلا ، يحمل في غضونه عوامل سقوطه ، ويجيء في ادنى ذلك المعطى ، مقنعا او مغطى بالمساحيق التي تحمل على الظن انه معافى ، وهو في الحقيقة ليس على شيء من ذلك .

من هنا ظاهرتا التنمية ، والصعوبة ، في الشعر الحديث ، اما الصعوبة فشيوعها في عملية الابداع ، ان الشاعر بمقدار ما يغوص في الواقع ، وبمقدار ما يستبطن عوامله وحركاته ، يصيح من حيث لا يدري ، اسير التعبير عن عدة قضايا في وقت واحد ، فيلجأ الى تكثيف الصورة ، والى تداخل الرؤى ، بحيث يجيء شعره مثقلا بالرموز والدلالات ، الا انها رموز ودلالات موظفة بوظيفة فنيا رازما ، موحيا ومؤثرا ، وقادرا على نقل التجربة الفنية الى الآخرين .

اما التنمية ، او الغموض ، فهي في الشعر ، كما في الفن بالاطلاق ، ترد الى قلقة وفصور فكري ، يحاول الفنان او الشاعر ، الاستعاضة عنهما بالحسنات الكلامية ، لكي يسد فجوة معينة ، فيجيء الشعر مرتبكا ، مملوءا بمواد خليط من مفردات ، وصور ، وصيغ ، لا رابط فيما بينهما ولا انسجام . ومن هنا ايضا التشابه بين العديد من الشعراء الذين لا يملكون من ادوات الشعر - الا القدرة على رصف الكلام المندرج في اطر الغير الرؤياويه والاسلوبية . حتى لكأن الشعر في هذا الوقت يعاني من قلة الموضوعات ، او يعاني من فقره على اكتشاف ما تقدمه حركة الواقع للشاعر يوميا من الموضوعات ، وما رافقها من ايفاعات لا عهد له بها من قبل .

واما التخيل ، فاليفين في وجوبه ان الشعر باطلاق ، والشعر الحديث بخاصة ، يظل اسير فراغ اذا لم يشربه بكل عروقه ، فلتنا جوانبه . ولا بد لنا هنا من القول بان تخيل شيء من لا شيء ، لا يقضى الى شيء اطلاقا . فاننا عندما اغادر مخيلتي الخاصة لبلوغ الخلق الجديد ، وعرضه بالتالي ، فانني لا افعل الا إعادة خلق مواد في عالمي الخاص ، وفي العالم الخارجي المحيط بي . اذن : انا اضاعف ذاتي . وتكون المضاعفة هذه بمقدار ما استطيع الخروج من ذاتي الفردية الى الذات العامة .

وما كان يطلق عليه في السابق ، وحاليا ، معنى التحول ، ليس في الحقيقة سوى اندغام الشاعر بحدسه الذي لا يعدو هنا ان يكون الا محصل الثقافة والتجربة الجماعية متمثلة فيه ، مما يجعل الشاعر متغلا بالوجود « انقالا » يكاد يكون عضوا . يقول والت وايتمان :

« وعرفت الصوان ، والفحم ، والطحالب الطويلة الخيوط

والانهار ، وجنود الاطعمة

فانا محمص من قلمي الى راسي

بنوات القوائم الاربعة والعصافير » (1)

واقول بصدد التجربة الشعرية :

« لم يكن لصا ( الشعر ) تحامته المزايح العنيدة

(1) والت وايتمان : اوراق العشب . الترجمة الفرنسية ،

مجلة أوروبا .

لا ولا جنا تمنيني بجنسات رغيدة  
كان شلالا من الطحلب واللؤلؤ ، والاصداف ، والرمل  
ونارا

كان امواجا من الوهم .. توارى  
في حنايا اضلعي الظمأ وثارا  
واستفاقت في فمي الاحرف والالوان والالحن  
والترب واحجار المتاهات الحيارى  
ازهرت في انملي جمرا

وفي الافاق اجراسا وغاربا » . (1)

واما اللفظة الحديثة ، تلك ، فغرب من عبر عن « كيميائها »  
العجيب ، الشاعر الياباني « تسورا يوكي » من القرن العاشر بقوله :  
« ان للشعر جنرا هو القلب البشري  
وله الاوراق الاف الكلمات » .

وحسبنا ان نعرف من هذا القول ، ان اللفظة في الشعر ( اللفظة الشعرية ) لا توظف بشكل مجاني لكي تموت او تنبل ، بل لتزهر وتضج بالحياة . وهذا ما يجعلنا نميز بين الكلمة ( المفردة ) وبين اللفظة ( مجموع مفردات مندرجة في عبارة ) اللتين تصيحان في عملية العمل الشعري صورا معبرة عن عاطفة ، او ظاهرة ، او حدث ما . فاذا اللفظة اداة تمييز وايصال جديدة ، واذا الصورة واقف جديد . من هنا معنى التجاوز والتخطي في مفهومنا للقصيدة الجديدة ، ضمن اطار الشعر العربي الحديث ، اخذة بعامل العلاقة الجدلية القائمة بين مظهر المفردة الخارجي وبين جرسها وايقاعها ومعناها جميعا .

## ٢ - مكانة الشعر اللبناني الحديث من هذا كله

انطلاقا من هذا المفهوم لتطور الشعر فنيا واجتماعيا ، عبر القصيدة الجديدة في الشعر العربي الحديث ، لا بد لنا الان من تحديد مكانة الشعر اللبناني في هذا الاطار ، لكي ندلل بالتالي على مناحي تطوره الفني بازاء التطور الاجتماعي في لبنان .  
وهنا تجدر الاشارة الى ان شعرنا هذا مر في عدة مراحل ، وكان في كل منها مجليا في بعض وجوهه وجوانبه ، ومنرسما في البعض الاخر خطوات من سبقه او عاصره من الروافد الحديثة في نهر الشعر العربي الكبير .

واذا ما انطلقنا من بداية مرحلة الثلاثينيات الاخيرة ، وهي على وجه التقريب ، المرحلة التي بدأ وازدهر فيها الشعر العربي الحديث ، الفينا شعرنا اللبناني يواكبها بفعالية ، ويسهم في عطاءاتها اسهاما جعله في مركز الريادة والسبق في بعض الاحيان .

ففي بداية هذه المرحلة ، وهي ما نعروف على تسميته عندنا بالمرحلة الاستقلالية ، كان الواقع اللبناني ضاجا باعتلالات اجتماعية عديدة ، اتخذت وجوها للصراع متباينة : بورجوازية كبرى تريد ان تحل محل الانتداب الفرنسي وترته . وبورجوازية متوسطة تطمع ببلوغ ما بلغت آختها الكبرى ، وبورجوازية صغرى مستغلة من الائتئين معا ، وطبقة كادحة متمثلة بالعمال والفلاحين ، والمتقنين الثوريين ، وجماهير قطاعات الخدمات الدنيا ، التي تختلف مطامحها ومطالبها عن سائر الطبقات والفتات الاجتماعية الاخرى ، علما بان لكل واحدة من هذه القطاعات اطرها الثقافية التي تحاول ان تبني لها على صعيد الادب والفن هيكلية ايدولوجية تتيح لها مركز الصدارة والتوجيه في موكب الحياة العامة .

اذن ، لقد تمددت وجوه الحياة اللبنانية وتبدلت على الصعيد الاجتماعي الامر الذي كان لا بد من ان يجد له تعبيرا على اصعدة الثقافة والادب والفن وكانت الارهاصة المؤاتية الاولى لهذا كله ، ان بنت الحاجة ماسة الى تغيير الاطر التقليدية ، لتصبح اكثر طواعية

(1) « اليك عنا ايها الليل » ص - ٧٤ .

بالنسبة له نهاية ما يمكن ان تبلغه القصيدة او الشعر الحديث  
( لانسى الحاج ، شوقي ابو شقرا ، ادونيس وغيرهم ) .

ولا بد هنا من القول بان طبيعة المعاناة ، لدى كل من هذه  
الاتجاهات الشعرية المشار اليها آنفا ، هي التي كانت تدلي على اصحابها  
طريقة في التفكير والتعبير الشعري ، كما تلمس عليها تصورات  
متباينة اواقع ومستقبل القصيدة في الشعر اللبناني العربي الحديث .  
فننمنا نرى الفئة الاولى من الشعراء غائصة في الواقع اللبناني  
والعربي والعالى ، مندرجة في قضاياها وانفعالاته الاجتماعية والفنية  
الثورية ، فاننا نرى كيف تتعامل مع الواقع اللبناني ، متخذة منه  
موقفا رافضا قائما على التعامل معه من اجل تبديله . وهي ترى  
وعبر في شعرها عن الخلاص ، على انه عملية جماعية ، يشترك بها  
سائر الفئات الشعبية الكادحة والمناضلة ، وان النظام القائم يشكل  
عقبة كبرى في وجه تطلعاتها وما تصبو اليه .

اقول عندما نرى هذه الفئة من الشعراء على مثل هذه الحال من  
التعامل والموقف ، وانها ملتزمة تاريخيا وحاليا ومستقبلا بمعاناتها ،  
نرى الفئة الثانية في موقف ليبرالي « يلتمس الابعاد الكثيفة للرؤيا  
الجمالية ويحتضن فكرة البعث والحربة بأبعادها الميتافيزيقية  
ودلالاتها المتحللة من الالتزامات التاريخية او فكرة الخلاص الفردية ،  
او في العيشية ، والخروج انطلق من المعاناة التاريخية » ( 1 )

وفيما نرى الواقع اللبناني الراهن يضع بعدة عوامل اجتماعية  
وسياسية متفافة من جراء الاوضاع المعاشية التي يعاني منها القسم  
الاكبر من المواطنين ، نرى الفئات الجماهيرية ايضا تتلمذ وتمتمخض  
عن مواقف ومحاولات ترمي جميعا الى تجاوز الوضع الاقتصادي  
والسياسي والاجتماعي العام المتردي في كثير من جوانبه ووجوهه . كما  
نرى ( وهذا امر بات معروفا جدا على الصعيدين العربي والدولي ) الحالة  
العامة المضطربة من جراء الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على حدود لبنان  
الجنوبية وعلى قراه وما تلحقه بها من تدمير وتقتيل . وهذا الوضع  
ان دل على شيء فعلى حركة حياة مستمرة ، لا تعرف السكون  
والاستقرار على حالة معينة .

لكن هذا الوضع ( وهو جانب من الوضع العربي العام ) لا  
ينعكس في حركة الشعر اللبناني الحديث ، الا لاما ، سواء في  
بنية القصيدة الجديدة ، او ما تعالجه . والسبب في ذلك ان ليس ثمة  
معاناة فعلية لدى اكثرية الشعراء اللبنانيين ، بحكم قلة ارتباطهم  
بقضايا الشعب والواقع . لهذا نجد هذه الاكثية تصور في شعرها  
فضايا ومشاعر ليس لها فيها سوى القليل النادر مما ينبغي ، لكي  
يجيء شعرها متعاملا مع الواقع تعامللا ثوريا وجماليا يرمي الى  
تبديله .

وخلاصة القول ، ان الشعر اللبناني الحديث ، يعاني كما الشعر  
العربي على العموم ، من ازمة جديدة ، رافقت التطورات الاجتماعية  
الحديثة التي عصفت بالامة العربية عقب حربي حزيران وتشرين ، وما  
كان لها من انعكاسات سلبية ثم ايجابية على النفسية العربية  
الخاصة والعامية .

لكن هذه الازمة ليست من النوع الذي يحمل على التشاؤم بمستقبل  
شعرنا العربي . لان هذا الشعر قد استطاع ، برغم كل الانتكاسات  
التي مني بها ، ان يستمر في خطه الصاعد ، ليفدم ما يطيب لنا  
تسميته بالقصيدة الجديدة في الشعر العربي الحديث .

ان هذه القصيدة الجديدة المناقضة للاتجاهات العلمية ، هي ضد  
كل الاعراف السلبية السائدة بطبيعتها الفنية . انها ثورة في الشعر ،

( 1 ) د . ميشال عاصي : الاداب - عدد نيسان ١٩٧٣ .

لاستيعاب النوازع الخاصة والعامية لدى كل من الهيئات الالفه الذكر .  
واذا ما استثنينا سائر الفئات الادبية والفنية ، وافنصرنا على  
الشعر وهو موضوع حديثنا الان ، وجدناه يسعى في اتجاهات مضاربة  
ليستبتطن ويعبر بالتالي عن كل هذه الفئات الشعبية التي تشكل  
المتجمع اللبناني .

اذن ، اضحى التجديد في المعايير الادبية والفنية ، وخاصة  
الشعر ، دعوة لا يمكن الاستجابة لها بشتى الاشكال والاتجاهات .  
وكانت بداية هذه الاستجابة مقصورة على المضمون ، وان تناولت بعض  
ظاهرات القصيدة واشكالها . وقد تطور هذا الاتجاه حتى شمل فطعا  
كبيرا من الشعراء اللبنانيين ، المختلفي الاتجاهات الفكرية ، والانتماءات  
الاجتماعية . واخذت الفوارق تتضح بمقدار ما كان كل فريق من هؤلاء  
يسعى لتدعيم وجهات نظره ومواقفه الايديولوجية والفنية عموما .

وعندئذ اخذ الشعراء الملتزمون بفاهيم الواقعية ، والمتصلون بشكل  
او باخر ، بالقضايا الوطنية ، اللبنانية والعربية ، يعبرون بقصائدهم  
عما يدور في الواقع الاجتماعي اللبناني والعربي من احداث واعتمالات  
ونضالات ، ويصعدون هذا التعبير على صعيد القصيدة وشكلها  
ويناقشونها كما راح شعراء اخرون ، يختلفون عنهم في قضية الشعر  
ومفاهيمها ، ينطلقون في نتائجهم من وجهة كون الشعر طريقة فنية قوامها  
الرؤسة واللفسة ، ويوجب احلالها محل الاستكشاف الذاتي ،  
وتحرير القصيدة من كل قياس .

كان القسم الاول من هؤلاء الشعراء ( الذين تحلقوا في مجلات  
كالطريق ، والثقافة الوطنية ، والاداب ) يقفون موقف المهاجم للبنى  
الاجتماعية اللبنانية السائدة ، واؤسستها المهيمنة على السواد الاعظم  
من المواطنين ، ويرون فيها الحائل الاكبر الذي يحول دون التطور  
الاجتماعي والثقافي والفني ( توفيق ابراهيم ، ضابوس منعم ، رضوان  
الشهال وسواهم ) ، ويشاركون ايضا بكل ما يتصل بمواقف الانسان  
العربي تجاه تراثه ، وواقعه ، وما يراود له على الصعيدين الاجتماعي  
والسياسي ( خليل حاوي ، فؤاد الخشن ، روبر غانم ، حبيب صادق ،  
الياس لحد وسواهم ) ، وقد لازم فريق من هؤلاء الشعراء جانب  
التطور الاجتماعي على حساب التطور الفني في الشعر ، وجهدوا لكي  
يحتفظ شعرهم بالموقف والرؤية الفنية . ولزم فريق آخر جانب التطور  
الاجتماعي والفني معا ، فجاء شعرهم في مرتبة تراوح بين الرتبة  
وبين الابداع . كما لازمت قلة من هؤلاء الشعراء جانب التطور  
الاجتماعي والفني على وعي جدلي عميق ، فكان الشعر لديهم ابداعيا ،  
رؤياويا ، حاملا لكثير من علامات الخلق في شكل القصيدة وفي  
مضمونها وابقاعها ، وواعيا دورها الفني والاجتماعي معا ، وارتباطها  
بالشعب ، والتاريخ ، والتراث ارتباطا بعيدا متطورا ، وابداعيا  
ملحميا في كثير من الحالات . وقد كانت لنا في هذا المجال اسهامات  
ظهرت في عدة اعمال لا سبيل لذكرها الان .

اما القسم الاخر من الشعراء اللبنانيين ( فقد تحلقوا حول مجلة  
« شعر » ) وكان همهم الاوحد ممارسة الشعر ، لا من اجل المساهمة  
بقضايا الواقع ، وانما من اجل اغراض الفن على العموم . وقد  
تمثلت دعوتهم هذه بعدم توظيف الشعر الا في هذا الاتجاه ، متمثلين  
تجربة شعراء غربيين امثال ايليوت ، وبوند ، وبرس . ونجدد الإشارة  
الى انه قد لازم هذا القسم من الشعراء اتجاهان اساسيان ، برغم  
كونهما منطلقين من محور تحرير شكل القصيدة من جميع الاقيسة  
والقواعد ، وجعلها مقصورة على موسيقاها الداخلية ، ومعتمدة على  
رؤياوية فائقة على ما تلمفردة من دلالة ابعد من اطار العبارة الشعرية .

وقد بقي الاتجاه الاول معتمدا على الموسيقى الخارجية والرؤيا  
المطلقة ( جورج غانم ) ، بالاضافة الى اعتماده « قصيدة النثر » وسيلة  
للتعبير الشعري ( يوسف الخال ، عصام محفوظ ، وسواهم ) . اما  
الاتجاه الثاني فقد توصل الى فناعة نهائية بقصيدة النثر ، واعبرها

ومعنى ذلك انها ثورة مستمرة على كل العيانات الفنية والاجتماعية ، شرط ان تظل شعرا حتى في اعنف الصرخات الضرورية بالنسبة لاصوات التمرد والثورة والحرية ، وان لا تستقر على شكل او حالة معينين . فهي ، بحكم ما تناهت اليه حركة الشعر العربي الحديث ، حركة كما حركة الواقع ، تسمى دائما الى ايجاد شكلها الجديد .

ولقد آساء بعض الشعراء اللبنانيين السى مفهوم « القصيدة الجديدة » هذه ، بخطأ فهمهم كلاما على الشعر تنظيريا ، من مثل قول الشاعر « بودليير » : ان الشعر لا هدف له الا ذاته . ذلك لان الشاعر الفرنسي العظيم لم يترك المسألة مقصورة على هذا الحد ، وانما اضاف قائلا : « لست اريد بهذا القول ان الشاعر لا يسمو بالشيم - وليفهمني اناس جيدا - وان حصيلته النهائية ليست السمو بالانسان فوق مستوى المصالح التافهة ، ان هذا بالطبع لضرب من العبث . فالشعر يصبح تمردا في السجن وفي نافذة المستشفى املا حارا بالشفاء ، وفي السترة المزقة المتسخة يزدهي كجنينة من طرف واناقة . . . ويصبح في كل مكان نقيص الصنف (1) .

والحق ، ان هذا البعض المشار اليه ، قد اخطأ ايضا في فهم فنية القصيدة الجديدة ، فحسبها ذاكرته الخاصة ، لا ذاكرة الشعب ، فجاءت اشكال قصائده مترفة حتى التافهة ، ومسطحة بحيث تضارع الارض ابياب . ومن هنا عجز هؤلاء الشعراء عن مواكبة التطور الاجتماعي ، كما عجز شعراءهم عن حمل اي اثر متبادل بين الفن وبين الواقع الذي يعيش فيه ، او يوازيه في احسن احتمال .

ان كل شعر ، لا يصدر الا عن ذاكرة خاصة ، لا يمكن الا ان يكون غامضا وقاصرا ( ولا اقول صعبا ) لانه لن يكون شيئا اذا كان واضحا ، او مقاربا للوضوح . فالغموض في الشعر انما يكون بسبب كون الافكار والاحاسيس التي يريد الشاعر ان يعبر عنها ناقصة مهزوزة ، ضحلة من كل ما يتيح لها الامتداد في الذات العامة ، ويمكنها بشكل او باخر ، من الوصول الى التلقي ، لكي تفعل فيه بعض ما فعلت في الشاعر عند اعتمادها في داخله اعتمادا فنيا .

اما الصعوبة ، وقد تحصل في الشعر العظيم ، فهي ناجمة عن امرين اساسيين ، اولهما : اللغة التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته الجديدة ، ثم الصورة الفنية التي تشكل وعاء افكاره واحاسيسه المكثفة . ولن يكون للشاعر هنا دور في هذه الصعوبة . لانها نتاج تعادل معين مع اللغة والصورة معا . وتكون الفجوة ، من بعد ، لدى الشاعر الزيف - وان اسم بوفارها - عندما يدرك الفارئ المتوسط الثقافة ان الصعوبة في شعره ناجمة عن رغبة في غفظة الفراغ الفكري الذي يعتبره ، عن طريق استخدام لغة تقليدية ، ليس فيها من الجديد سوى قدرة على الابهار .

ان الوقوع في مثل هذه الملهاي القاتلة ، لما يفسد على القصيدة الجديدة في الشعر اللبناني والعربي الحديث ، قيمتها الفنية ، كما انه يعقدها اثرها التبادل بين تطورها الفني والتطور الاجتماعي العام . وهنا يجدر بنا التاكيد على الدور الذي يمارسه شكل هذه القصيدة في نطاق الشعر العام . فلا قصيدة جديدة بدون شكل جديد . ولا تطور ولا جودة الا بتطور الاشكال الفنية للقصيدة وتطور مضمونها معا . ولقد كنا وما زلنا ، نستخدم في شعرنا ، ونقول بوجوب استخدام كل الاشكال والايقاعات المعروفة ، من خارجية وداخلية ، في نطاق

(1) بودليير - المؤلفات - المجلد الثاني . 1946 - الفن الرومنطقي

ص ، 412 .

القصيدة الجديدة ، ونصر على البحث عن اشكال وايقاعات جديدة اخرى . وهذا انطلاقا من مفهومنا بان الحياة حركة تبحث دائما عن شكلها . حتى اذا وجدته في لحظة تاريخية معينة ، لم تستقر عليه الا الفترة التي تشكل تحفزا للانطلاق من جديد بحثا عن شكل لها اخر يكون مرهونا بعوامل حركتها الجدلية المستمرة . ولهذا فكل قول بوصول القصيدة العربية الجديدة الى شكل معين ، والاستقرار عليه بوصفه اخر ما يمكن ان تلبسه من تطور ، انما هو قول مردود ، من وجهة فلسفية وفنية ، لانه مخالف لطبيعة الحركة في الواقع ، ولشروط ظهور اية ظاهرة ، كما انه يشكل بعد ذاته مفهوما سكونيا ناباه جدلية الحياة ، وطبيعة الفن على السواء .

ان حركة الواقع لتتضمن ، بالضرورة ، العديد من الاشكال والايقاعات والمضامين . وعلى الشاعر المبدع ان يبحث دائما عن هذه الاشكال والايقاعات والمضامين ، لكي يظل شعره قادرا على استبطان هذه الحركة ومرهنا بالحلم الكبير في نطاق الوجود . هذه حقيقة الشعر ، وانها لحقيقة الطبيعة في الشعر اللبناني الحديث التي انطلقت في فجاج الارض الشعرية وعدتها لقسمة ، ورؤى وايقاعات ، وجمالية جديدة فوامها ومدارها الانسان الراقب في رؤية مأسائه تحترق امامه ، لينطلق حرا الى مشارف الافق البعيد .

فمنذ مدة طويلة « هبط الشعراء من القمم التي ظنوا انهم يتسمنونها وذهبوا في الشوارع ، وشتموا معلمهم ، ولم يبق لهم ارباب ، وجرأوا على تقبيل نحر الجمال والحب ، وتعلموا اناشيد تمرد الجمهور البائس ، وبحساونون دونما ارتداد ، ان يلقنوه اناشيدهم » . (1)

حقا ، ان طواف الشاعر الشوارع ، وشتم الاصنام ، والتخلي عن الارباب وتقبيل نحر الجمال والحب ، لغير منفصلة عن التعرف باناشيد تمرد الشعب البائس ، وعن وجوب تلقين الشعب اناشيده ، ومد العين الى افاق لم ترها باصرة من قبل .

بيروت

(1) بول ايلوار : « اتاحة النظر » صفحة 84 .

## مكتبة انطوان

شارع الامير بشير - بيروت

تقدم اكبر مجموعة من كتب الهدايا

في مختلف اللغات العربية والفرنسية والانكليزية

موسوعات مصورة ، علوم متنوعة

ثقافة شاملة - حضارات الامم

مكتبة انطوان - شارع الامير بشير - بيروت